يومياً في رمضان
بعد صلاة العصر
النهج الواضح
تفسير سورة
البقرة
كاملة إن شاء الله
لفضيلة الشيخ
أبي محمد خالد بن عبد الرحمن
حفظه الله
في مسجد شيخان الفارسي
الكويت - منطقة العديلية قطعة 1
ابتداءا من 1/ رمضان / 1435هـ
الساعة 4:00 بتوقيت مكة (تقريبا)
ملاحظات :
1- الدرس منقول عبر إذاعة النهج الواضح
Www.annahj.com
2- تقام الصلاة بعد 20 دقيقة من الأذان .
3- للإستفسار : 99480868

بسم الله والحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد، نستأنفُ الدرس في تفسيرِ سورة البقرة، في اليوم التاسع من رمضان 1435 من الهجرة مع شيخنا الفاضِل خالد بن عبدالرحمن حفظهُ الله تعالى وصلنا عند قوله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ} [البقرة84]

الآية: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (86) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (88) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ(89) بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ(90) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا

أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقرة:84-91]

الشيخ: جزاك الله خيرا، الحمدلله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلهِ وأصحابهِ أجمعين أما بعد:

يقول الله عزَّ وجلَّ {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ} [البقرة84]، فأخذ الله – عز وجل– الميثاق والعهد على اليهود أن لا يقتل بعضهم بعضًا، فهذا سفك الدم، وقد جاء في صحيح البخاري أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي الدِّمَاءِ)) ولذلك سفك الدم الحرام من أعظم الآثام، فقد ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما صحح الإمام الألباني وغيره، أنه قال: ((أَبى الله أنْ يَجْعَلَ لِقَاتِلِ مُؤمِنٍ تَوْبَةً))، ((أَبى الله أنْ يَجْعَلَ لِقَاتِلِ مُؤمِنٍ تَوْبَةً)) فأخذ الله –عز وجل– على اليهود الميثاق، يقول –سبحانه وتعالى–: {لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ} [البقرة:84]، فكانو فيما نهاهم الله –عز وجل– يخرجون أنفسهم من ديارهم كما سيأتي، فحرم الله –عز وجل– على اليهود سفك الدم ونَفْيَ أحدٍ من أرضه بغير حق، قال الله –جل وعلا–: {ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ} [البقرة:84]، عَلموا أحكام الله وأقروا بها وشهدوا على الميثاق، ثم بعد ذلك خالفوهُ ونقضوه، قال الله –جل وعلا–: {ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ} [البقرة:85]، يقتل بعضكم بعضًا ناقضين بذلك الميثاق الذي أخذه الله –عز وجل– {وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ} [البقرة:85]، فكانوا يأتون إلى بعض الناس يعتدون عليهم فيطردونهم من أوطانهم وبلادهم بغير حق، من جنسهم من اليهود أنفسهم، وهذا يدلك على أن الله –جل وعلا– جعل اليهود طوائف

وأحزاب متناحرين مختلفين، كما بين الله –جل وعلا– فيما يتعلق باليهود {فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [المائدة:14]، فلا يجتمع اليهود قط على جماعةٍ واحدة وعلى أُلفةٍ ووئامٍ بينهم، بل لايزال اليهود قديمًا وحديثًا فِرقًا وأحزابًا وبينهم الشِّقاق والخلاف، ومن تتبع أحوال اليهود قديمًا وحديثًا علم ذلك، قال الله –جل وعلا–: {ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ} [البقرة:85]، إذا كان اليهود يخرجون فريقًا منهم من ديارهم ظلمًا وعدوانًا فما بالك بهم مع غيرهم، إذا كانوا هم في أنفسهم يخرجون بعض جماعتهم من البلد الذي يكونون فيه فما بالك بحال اليهود مع غيرهم في الإعتداء على بلدانهم وفي إخراجهم من أوطانهم، كما هو حاصل اليوم مع اليهود في فلسطين، قال الله – جل وعلا –: {تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [البقرة:85]، أي أنهم يتعاونون في الظلم على قتل بعضهم وعلى إخراج بعضهم من ديارهم وأصل التظاهر التعاون، تعاون الناس بعضهم بعضًا ولذلك قال الله – عز وجل – مبينًا معنى ذلك {وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ} [التحريم:4] فأصل التظاهر التناصر وأن ينصر الناس بعضهم بعضا، في أمر ما فاليهود يتظاهرون على هؤلاء المغلوبين الضعفاء من أنفسهم بالإثم والعدوان، ففرق الله – جل وعلا – بين الإثم وبين العدوان، فالإثمُ هو الذنب الذي يحصل به الإثم، والعدوان هو الفعل نفسه في التعدي على غيرك، فجمعوا بين الإثم، بين الذنب، فصاروا آثمين بسبب عدوانهم وتعديهم على المضلومين وعلى الضعفاء، قال الله –جل وعلا– : {يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ} [البقرة:85]، وهذا بيان تناقض اليهود، مع أنهم يقتل بعضهم بعضًا، فإذا لقي يهوديٌ يهوديًا أسيرًا فكان يشتريه

ويفديه، وقد أخرج ابن أبي حاتم بإسنادٍ حسن، أن عبدالله ابن سلام وهو عالم اليهود قبل أن يُسلم –رضي الله عنه–، كانوا في غزوةٍ من الغزوات فأشترى عجوزًا بسبعِ مئة ورجعَ بها، ثم في الطريق لقي رأس الجالوت، وهو عالم من علماء اليهود وكبير من كبرائهم، فقال له عبدالله بن سلام: إني قد اشتريت هذه العجوز وهي منكم، يعني يهودية، وإني قد اشتريتها بسبع مئة، فهل تشتريها؟

فقال له رأس الجالوت: نعم، أُربحك فيها سبع مئةٍ مثلها. يعني أعطيك فيها ألف وأربع مئة، فقال عبدالله بن سلام: أما إني قد حلفت أن لا أبيعها إلا بأربعةِ آلاف، فقال له رأس الجالوت: لا حاجة لي فيها، فقال عبدالله بن سلام: أما والله لتشترينها أو لَتكفرن بدينك الذي تؤمن به، ثم قال: ادنُ مني، فدنى فقرأ عليه ما فيه التوراة: إنك إن وجدت أخاك اليهودي أسيرًا فأشتره، فأعتقه.

فتنبه هذا رأس الجالوت، فقال له: أنت عبدالله بن سلام؟ ؛ لأنه لا يمكن أن يعرف ذلك إلا إذا كان قد قرأ التوراة، فقال: نعم، فاشتراها بأربعةِ آلاف، فأخذ عبدالله بن سلام ألفين ورد عليه ألفين، فكان مفروضًا عليهم في دينهم إذا وجد أخًا له يهوديًا أسيرًا أن يفديه،فجمعوا بين المتناقض، فكانوا إذا وجد بعضهم بعضًا في الأسر افتدى بعضهم بعضًا، ثم بعد ذلك يقتل بعضهم بعضًا، فأنكر الله عليهم فقال : ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾[البقرة: 85] إذا وجدتُ اليهود أسرى تفادوهم، ثم بعد ذلك تقتلونهم! يقتل بعضكم بعضًا وتخرجونهم من ديارهم! ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة: 85]

فجمعوا بين المتناقضين، عملوا بشيءٍ من كتاب الله، وكفروا بشيء، عملوا في الفداء

لأسراهم، وكفروا بقتلهم وبإخراجهم، وعدم قبولهم لحكم الله في مسألة القتل، والإخراج من الديار.

وهذا يدلك على أن الذي حملهم على قبول حكم الله بأن يفدوا أسراهم ليست ديانة، وإنما العنصرية، والعصبية، والقبلية، فإنه لو كان حملهم على فداء أسراهم الديانة لقبلوا حكم الله في عدم إخراجهم من ديارهم، وفي عدم قتلهم، ولكنهم أخذوا من حكم الله – جل وعلا– ما يوافق هواهم، فقال الله – جل وعلا– منكرًا عليهم: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة: 85] فكان إيمانهم في فدائهم أسراهم، وكان كفرهم في عدم قبولهم حكم الله حين نهاهم عن سفك دماء أنفسهم، وعن إخراج أنفسهم من ديارهم.

قال الله – جل وعلا– : {فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ} [البقرة: 85]

فرتب الله – جل وعلا– على كفرهم أمرين عقوبةً في الدنيا، والعقوبة الأكبر في الآخرة، فعقوبة الدنيا الخزي، يكونوا مخزيين، ذليلين، كما قال – تعالى– : {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ }[البقرة:61] ومن الخزي ما بيَّن الله – عز وجل– مخبرًا عنهم في وصف اليهود بأنهم أغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، {فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [المائدة:14] وهذا من ضمن عقوبة الدنيا، ومن ضمن الخزي أن الله شتتهم في بلدان الدنيا {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا} [الأعراف:168] فشتتهم الله – عز وجل– وجعل اليهود شتاتًا، فما من جنس من الأجناس إلا له وطن، واستقرار؛ إلا

اليهود فإنهم متناثرون في أقطار الدنيا، لا يجمعهم وطن، ولا تجمعهم دولة لجنس اليهود، وإنما ينتقلون من بلدة إلى بلدة، ومن دولة إلى دولة، يعتدون على هؤلاء، يعتدون على أولئك ليجعلوا لهم مكانًا مستقرًا وهذا كُلَّه من عقوبة الله عزَّ وجل لهؤلاء اليهود قال الله – جلَّ وعلا– :{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ} [البقرة: ٨٥]

فاليهود لـمَّا كانوا من أشدَّ النَّاس كُفراً صار عذابهم من أشدَّ العذاب, وقد ثبت في الصحيحين أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: ((ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزءً من نار جهنَّم, فقالوا : يا رسول الله والله إن كانت لكافية)) أي أنَّ نار الدُّنيا تكفي للعذاب, ((قال أما إنَّها فُضِّلت عليها بتسعةٍ وستين جزءً كُلُّها مثلُ حرِّها)) نعوذ بالله من النَّار, فالنَّار بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّها جزء من سبعين جزءً بالنسبة لنارِ جهنَّم, ثُم كُلُّ جزء زائد يزيد على الجزء بمثل حرِّها وبمثل ألمها حتى يصل التَّضعيف في زيادة العذاب إلى سبعين ضعفاً ونعوذ بالله.

قال الله –جلَّ وعلا–: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) ٨٥﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ} [البقرة: 85-86]

بعد أن ذكر شِدَّته فقد يُقال أنَّ الأمر يكونُ شديداً في بدايته وقد يخف ويقلّ, فبيَّن الله– عزَّ وجل–أنَّ اليهود مُلازمون لشدَّة العذاب أزلاً وأبداً بعد دخولهم النَّار, وأنَّ عذابه –عزَّ وجل– عليهم لا يُخفف {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} [البقرة:86]

فلا هو سبحانه وتعالى يُخفف العذاب عنهم ولا هم يجدون ناصراً يدفعُ عنهم عذاب الله —عزَّ وجل– فبعد أن ذكر الله ذلك من خِصال اليهود بيَّن خصلةً أخرى من خِصالهم وهيَّ قبيحُ فِعالهم ليس بأنهم يقتلون أنفسهم ويُخرجون فريقاً منهم من ديارهم بل تعدى قتلهم للأنبياء الذي هو أعظمُ جُرماً من قتل غيرهم, فإن كان أصلُ القتل مُحرمٌ وكبيرةٌ عظيمة فإذا وصل القتل إلى الأنبياء فإنه يكونُ من الكفر الصريح ومن أعظم الآثام فقال تعالى : {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} [البقرة:87] وهو التَّوراة, {وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ} [البقرة:87] ثُمَّ أرسل الله —عزَّ وجل- الرُّسل كثرةً بعد نبيِّ الله موسى {وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ} [البقرة:87] وعيسى بن مريم يقول الله —عزَّ وجل —: {وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ} [البقرة:87] الدَّلائل الواضحات {وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} [البقرة:87] وروح القدس هو جبريل عليه الصلاة والسلام وقد ثبت في الصحيحين أنَّ حسان بن ثابت —رضي الله عنه– استشهد أبا هريرة فقال :يا أبا هريرة أما سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول لي : ((أهجهم أو هاجهم أيدك الله بروح القدس أو ومعك روح القدس)) فقال أبو هريرة : اللهم نعم، وأخرجا في الصحيحين من حديث البراء أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لحسان : ((أهجهم أو هاجهم وجبريل معك)) فروح القدس هو جبريل قال الإمام الطبري رحمه الله وسبب تسميته بروح أي أن جبريل روح من الله – عز وجل – كما قال الله عن عيسى بأنه روح من الله، إذ خلقه الله بلا سبب كما هي عادة خلق بني آدم أن يتولد من ذكر وأنثى فجبريل – عليه الصلاة والسلام – روحٌ من الله، ثم وصفه القدس فإن أصل القدس الشيء الطاهر فمعنى {وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} [البقرة:87] أي قويناه وأيدناه بروح القدس الروح الطاهر وهو جبريل –

عليه الصلاة والسلام – لذلك كان اليهود يبغظون جبريل على وجه الخصوص فنزلت الآيه { مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ} [البقرة:98] فكان اليهود يقولون هذا عدو اليهود من الملائكة إذ أنه هو الذي ينزل بوحي الله وينزل ببيان خصال اليهود وصفاتهم وإظهار قبيح فعالهم فلذلك جعلوا جبريل – عليه الصلاة والسلام – عدوًا لهم من سائر الملائكة قال الله – جل وعلا – : {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ} [البقرة:87] إذا جاء الرسول بما تهوى أنفسهم قبلوا كما قبلوا حكم الله في مسألة فداء أسراهم حين هووا ذلك أما إذا جاء الرسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا فلم يقبلوا دين الله ولم يقبلوا أحكام الله قال تعالى : {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة:87] هذا موقفهم مع كثيرٍ من الأنبياء والرسل {فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ} فلم يأمنوا بهم وتركوهم ولم يتعرضوا لقتلهم وفريقًا آخر بعد أن كذبوه لم يكتفوا بتكذيبه حتى استحلوا دمه فقتلوا الأنبياء، إذًا تصور الآن قبح كفر اليهود لم يكتفوا بعدم الإيمان ببعض الأنبياء بل كفروا واستحلوا دمه، وهذا يدلك على أن اليهود من قساوة قلبهم أنهم لا يتورعون عن الدماء ولو كانت دماء الأنبياء وما اليهود الموجودون الآن في قتلهم لكثير من المسلمين رجالًا أو نساء أو أطفالاً إلا وهو من طبع اليهود الذي أخذوه وورثوه عن آباءهم وأجدادهم فمن قتل الأنبياء فلا يُتَوَرع بعد ذلك منه أن لايقتل امرأة أو صبيا أو شيخاً فانياً أو عجوزا .ومن ظن أن اليهود قد يصلح حالهم في يومٍ من الدهر فهو لم يفهم كتاب الله عز وجل فهمًا صحيحًا وسيظل اليهود على ما رُكّب فيهم من سوء أخلاقهم ومن قبيح صفاتهم وقساوة قلوبهم قال الله جل وعلا:

{فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة:87]

_سؤال هنا يرد يا شيخنا الفاضل أن كثرة حرص اليهود على الدماء وتسببهم في قتل الأنبياء, إلى عصرنا الحاضر –هل يمكن أن تُفسَّر قتل المسلمين وسفك دمائهم على أن اليهود على رأس ذلك ؟

الجواب : هذا تكلف في تصور الأمور وإيضاحه أن الله – جل وعلا – لم يجعل اليهود هم الأعداء فقط للمسلمين، لا فإن أعداء المسلمين المسلمين كثر وان الذي يحرص على سفك الدماء دماء المسلمين كُثُرْ، منهم اليهود ومنهم غيرهم، فمن ذلك مابيَّنه الله – عز – وجل في كتابه {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوة لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} [المائدة:82]

المشركون أيضًا حريصون على دماء المسلمين قتلا بل إن الضُّلال من المسلمين يفعلون فعل اليهود، فالنبي صلى الله عليه وسلم وصف الخوارج فقال : ((يقتُلُونَ أَهْلَ الإسلام وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ)) صحيح البخاري مسلم.فالخوارج يستحلون دماء المسلمين فيفعلون فعل اليهود في استحلالهم الدماء.أما أن يقال بأن كل ما يحل بالمسلمين في بلادهم وأوطانهم هو من تخطيط اليهود ومن سياسة اليهود ,فهذا تكلف في شأن اليهود وتكلف في تفسير ما يحدث للمسلمين بذلك، فينبغي أن ينتبه المسلمون أن من الأذى مايتحقق بين المسلمين بسبب ظلمهم بعضهم لبعض كما يفعل الخوارج في قتل المسلمين قديما وحديثا .

وهنا فائدة وهي قوله تعالى: {وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة:87]، جعل القتل للأنبياء كفرًا وفي هذا رد على جماعة من أهل البدع الذين يحصرون الكفر بعمل القلب ويقولون لايكفر الإنسان إلا بالجحود هذا غلط، بل قد يكفر الإنسان بجحود أمرٍ من أمر الله بقلبه، وقد يكفر بالعمل الظاهر الذي يُصادم أصل الدين، ويُضاد أصل الدين، كقتل الأنبياء، فهذا العمل هو كفرٌ بذاته، الفعل كفر، فمن قتل نبياً، أو أخذ مصحفاً، فرماه في القذر، وهو

يعلم بأنه كتاب الله، فكل ذلك من الأفعال، هو كفر صريح، فمن الغلط أن يُحْصر الكفر بأفعال وأعمال القلوب، بل الكفر تارةً يكون بالقلب، وتارةً يكون بالفعل كقتل نبيٍّ من الأنبياء، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية نقلاً عن الإمام إسحاق بن راهويه، قال الإمام إسحاق: "أجمع أهل العلم، على أن من قتل نبيًّا فهو كافر، وإن ادَّعى بأنه مقرٌّ بكل ما جاء به ذاك النبي" إذاً هنا قاعدة تتعلق بأبواب الاعتقاد، ينبغي التنبه لها، وهي أن من الكُفر ما يكون بالجَحْد وبعمل القلب، ومن الكفر ما يكون بالقول، ومن الكفر ما يكون بالعمل الظاهر، ومن الكفر الذي يكون بالقول ما نقل الإمام إسحاق بن راهويه إجماع أهل العلم، على أن من سبَّ الله، أو سبَّ رسوله، أو قتل نبيًّا فهو كافر، وإن ادَّعى بأنه مقرٌّ بكل ما جاء به ذالك النَّبي، فقتله له دليل على كفره وسبُّه له دليل على كفره، واستهزاءه به دليل على كفره، فانتبه فإنَّ مُرجئة الجهمية، هم الذين يدَّعون أنه لا يكون الكفر إلا بالقلب، وأمَّا أهل السُّنة فيقولون كما أن الإيمان حاصل بالقلب والقول والعمل الظاهر، كذالك الكفر منه ما هو بالقلب، كمن جحد حكم الله، ومنه ما هو بالفعل كمن قتل نبيًّا، ومنه ما هو بالقول كَسَبِّ الله ورسوله، ولكن الفعل الذي يكون كفرًا هو الذي يُصادِمُ ويُناقِض أصل الإسلام، حيث لا يَجتمع هذه الفعل الناقض للإسلام مع كونه مسلمًا، كقتل الأنبياء، أو الاستهزاء بكتاب الله، أو سب الله ورسوله، أو أن يرمي مصحفًا في القذر، كل ذالك من الأفعال التي هيَ كُفر بعينها، ولا نقول لا كُفْرَ إلا بفعل القلب، فهذا ليس من قول أهل السُّنة، بل هذا من قول غُلاة الجهمية، فقال هؤلاء مرجِئَة الجهمية، قالوا: يُمْكِنُ أن يَقتل نبيًّا وهو مؤمن به، قال الله –جل وعلا– {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا

غُلْفٌ} [البقرة:87-88] ثَبَتَ عن قتادة وعن غيره من السَّلف أنَّ معنى غُلف: أي عليها أَغْلِفة أو عليها غلاف أي أن قلوبهم لا تقبل شيئًا من الحق؛ لأنها صار عليها مانعًا وهو الغلاف.

{وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ} [سورة البقرة:88] واللعنة تأتي على ضربين، لعنةٌ متعلقةٌ بالكفر ولعنة متعلقة بالمعصية وليست مستلزمة للكفر، فتارَة تأتي اللعنة يراد بها كفر الملعون، وتارَة تأتي اللعنة يراد بها العقاب للملعون لا بمعنى كفره فقد ثبت أن النبي ــصلى الله عليه وسلمــ لعن شارب الخمر وثبت أنه لعن آكل الربا وثبت أنه لعن من لا يأمن جاره بوائقه، وهذه معاصي لا يكفر من قام بها مع أن اللعنة واقعة عليه إذًا انتبه حين تأتي اللعنة فهي فلا تستلزم كفر الملعون ((لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه)) وقد تأتي اللعنة يراد بها كفر الملعون بحسب فعله، فإن كان فعله المستجلب للعنة كفرًا فاللعنة هنا مستلزمةٌ لكفره، وإذا كان فعله معصية وليس بكفر فإن اللعنة مستلزمة لعقوبته بعد ذلك قد يعفو الله عنه إذا كان مسلمًا مع استحقاقه للعنة وقد لا يعفو، كما جاء في صحيح البخاري أن رجلًا من أصحاب النبي ــصلى الله عليه وسلمــ كان يشرب خمرًا وكان يلقب حمار فَؤوتِيَ به ذات يوم فقال صلى الله عليه وسلم اضربوه قال فمنا الضارب بيده ومنا الضارب بنعله ومنا الضارب بثوبه حتى قال رجل أخزاه الله ما أكثر ما يؤتى به وجاء في بعض الطرق فسبه ولعنه فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه إنه يحب الله ورسوله.

فالنبي ــصلى الله عليه وسلمــ لعن شارب الخمر ولكن أبى من لعنة هذا الصحابي مع أنه شارب خمر ثم بين المانع من لعنته أنه قام مانع يمنع من لعنته وهو أن الرجل يحب الله

ورسوله، ولكن غلبته نفسه إذًا فاللعنة تارة تأتي على الكافر وتارة تأتي على المسلم ثم بعد ذلك قد يقوم مانع من وقوعها على بعض الأعيان من المسلمين، قال الله ــجل وعلاــ : {بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ} [البقرة:88] قال قتادة في تأويل قوله تعالى: {فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ} [البقرة:88] قال إي لعمري لقد آمن من المشركين كثير ولم يؤمن من أهل الكتاب إلا القليل، وهذا يبين لك أمرًا هامًا ينبغي أن تنتبه له، لماذا آمن كثيرٌ من المشركين، ولم يؤمن من أهل الكتاب إلا القليل؟ وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: ((لَو آمَنَ بي عَشرةٌ منَ اليهودِ لآمنَ بِيَ اليهودُ جَميعا)) أو ((كُلُّهُم))، ((لَو آمَنَ بي عَشرةٌ منَ اليهودِ)) أي أن النبي –صلى الله عليه وسلم– منذ أن دعا الناس إلى الله –عز وجل– مع الآيات البيّنات، والمعجزات الواضحات لم يبلغ ممن أسلم من اليهود، لم يبلغ عددهم عشرة! وهذا يحتاج إلى أن تفهم أن قوله تعالى: {**فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ**} [البقرة: ٨٨] أن أهل الكتاب يعتقدون أن عندهم كتاب الله، وأنهم على حق، فحينئذ كثير منهم يمتنع من قبول الحق الذي جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم– مُتمسكًا زاعما بالحق الذي عنده، ولذلك متى اعتقد الإنسان أنه على حقٍ لشُبهة فإنه يستعصي عليه أن يقبل ما يُخالف معتقده، قال الله –جل وعلا–: {**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّـهِ مُصَدِّقٌ** لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا **مِن** قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} [البقرة: ٨٩] أخرج ابن إسحاق بإسنادٍ جيد كما يقول الإمام مقبل وهو كما قال –رحمه الله– من طريق قتادة عن أُناسٍ حدّثوه قالوا: كنا نتقاتل مع اليهود ويقع بيننا وبينهم قتال، فيقولون لنا: إنه قد قَرُبَ خروج نبيٍّ نُقاتِلكم معه، فَنقتُلُكم قتل عاد، قالوا: فلّما بعث الله نبيّه محمدا عَلِمنا أنه هو فبادرناهم قبله، فآمنا به وصدقناه، فهذا معنى قوله تعالى:

{وَكَانُوا مِن قَبْلُ} [البقرة: ٨٩] أي وكانوا من قبل أن يبعث الله نبيّه –عليه الصلاة والسلام– {يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} [البقرة: ٨٩] قائلين لهم بأنه قد أهلّ زمان نَبِيٍّ نُقاتِلكم معه قتل عاد {فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ} [البقرة: ٨٩] فهم عرفوا بأنه هو المقصود، ولكن هذه المعرفة لم تَنفعهم، لأنها لم تقترن بالإيمان والقَبول، وهذا يُنبِئُك على قاعدة أهل السنة أن المعرفة التي لا تقترن بالإيمان والقَبول فإنها تضر ولا تنفع، فإن الله قد أخبر عن فرعون، فقال {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: ١٤] علموا صِدق موسى يقينًا، ومع ذلك لم يَقبلوا، فلم تنفعهم معرفتهم بالحق، وقال أيضًا عن أهل الكتاب، وعن اليهود {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} [البقرة: ١٤٦] ولذلك في هذه الآية ومثيلاتها ردٌ على المرجئة على غلاة المرجئة الزاعمين بأن الإيمان هو معرفة محضة فكل من عرف الله فهو مؤمنٌ تام الإيمان قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأتفق السلف على تكفير غلاة الجهمية الذين يقولون بأن الإيمان معرفة محضة فألزمهم أهل السنة بإيمان فرعون وإيمان إبليس فإن فرعون وإبليس عرفا الله وعرفا فرعون صدق موسى فلم يكن مؤمنًا بذلك إذًا فقوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ} [البقرة: ٨٩] حجة لأهل السنة على أن الإيمان ليس معرفةً محضة بل الإيمان قول وعمل والإيمان إعتقاد القلب وإقرار اللسان بالشاهدتين وعملٌ بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن المعرفة المحضة التي لا يقترن بها قبولٌ وإذعان وحبٌ وطاعةٌ لله –عز وجل– أنها لا ينبني عليها الإيمان بل يكون حاله كحال اليهود وحال فروع وحال إبليس من المعرفة التي لم تقترن بالتوحيد والقبول والإذعان والرضى، قال الله –جل وعلا–:

{ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ

أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [البقرة:89-90] لماذا فعل اليهود ذلك؟ عرفوا الحق وعاندوا ما الذي حملهم على ذلك؟ قال بغيا وبغيًا منتصبٌ إما على الحال أو على أنه مفعولٌ لأجله، أي أن اليهود كفروا حال كونهم باغين فيكون بغيًا منصوبًا على الحال، من الفاعل والضمير الذي في قوله {يَكْفُرُوا} أي كفروا باغين وإما أن يكون منتصبًا بغيًا، على أنه مفعول لأجله، كما تقول أكرمتك حبا، أكرمتك حبًا لك أي أن الذي حملني على أن أكرمك هو حبي لك فهذا هو مفعولٌ لأجله فقد ذكر المعربون هنا أوجه النصب في بغيا، والمقصود على أي وجه كان أنهم إنما كفروا عنادًا وبغيًا على أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، كيف نزل القرآن على هؤلاء الأميين وهم اليهود يعدون أنفسهم بأنهم هم أهل العلم الذي نزل عليهم التوراة فكانوا أحق وهذا حالهم فيه كحال المشركين وقالوا : {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف:31] قالوا هلا نزل هذا القرآن على رجل له مكانه وعظيمٌ في القريتين , إما في مكة أو في الطائف , ولكن نزل القرآن على رجل عندهم ليس بعظيم فأبوا أن يقبلوا كتاب الله لأنه لم ينزل على من يستحق أن ينزل عليه من عظماء ووجهاء الناس في ظنهم الفاسد , فكَذّب الله الجميع فقال {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الزخرف:32]

فالله – جل وعلا – هو أعلم أين يضع كتابه {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام:124]، قال الله – جل وعلا – : **{بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ}** [البقرة:90]

انتبه فهنا باب من أبواب الاعتقاد , بيّن الله – عز وجل – أن اليهود استحقوا غضبًا على غضب , أي أن غضب الله زاد عليهم , فتضاعف غضب الله , وأنتم تعلمون أن, الغضب كصفة يتفاوت , فقد يغضب الإنسان وقد يتوسط الغضب, وقد يبلغ الغضب ذروته,

{وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} [النحل:60]، فغضب الله – عز وجل – أيضًا , بعضه أشد من بعض . وقد ثبت في الصحيحين أن الناس يأتون في الموقف إلى آدم فيقولون : أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك كذا وكذا وكذا , اشفع لنا إلى ربك , ألا ترى ما قد بلغنا , فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا , لم يغضب مثله قبل , قط , ولن يغضب بعده مثله , أي أن غضب الله يوم القيامة في المحشر , بلغ غضب الرب – جل وعلا – أشد الغضب , فلم يغضب قبل هذا اليوم غضبًا مثل هذا الغضب ولن يغضب فيما سيأتي من الزمان غضبًا مثل هذا اليوم , وهذا دليل على أن الغضب صفة للرب – جل وعلا – وأن غضبه – سبحانه وتعالى – صفة قائمة بذاته – تبارك وتعالى – نُثْبِتها على الوجه الذي يليق به , وإياك أن تقول كما يقول المؤوِله , غضبه أي إيصاله العقوبة للمغضوب عليه , هذا ليس هو غضب الله , هذا من أثر الغضب , فأهل السنة يثبتون الأمرين جميعًا , يثبتون الغضب ويثبتون أثره فقد يغضب ويعاقب , وقد يغضب ويعفو, ولذلك فصلت الآية بين الغضب والعذاب , فقال تعالى {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [البقرة:90]

ففرق بين غضبه وبين عذابه , إذا فأهل السنة لايأولون صفات الرب – جل وعلا – ولا يصرفون ظاهر القرآن بغير حجة وبينة ويثبتون صفات الله – جل وعلا – كما أثبتها الله

ورسوله بدون تأويلٍ ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل كما بيّن الله – جل وعلا – : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:11]

فالله يغضب غضبًا يليق به , {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير} [الشورى::11]

وليس معنى الغضب العذاب، بل العذاب هو مما ينتج عن آثر الغضب إن شاء الله ذلك , ففرّق الله – جل وعلا – فقال : {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [سورة البقرة:90],{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ} [البقرة:91]

فهم لم يؤمنوا بما أنزل عليهم ولم يؤمنوا بما جاء بعده وهو القرآن , {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقرة:91]

إن كنتم صادقين في قولكم {نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا} [البقرة:91]

فكيف آمنتم بما أنزل عليكم وقد قتلتم الأنبياء , فأنتم كذبة لم تؤمنوا بما أنزل عليكم ولا بما أنزل بعد ما أنزل عليكم قال الله – جل وعلا-: {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقرة:91]

فهم ليسوا بمؤمنين وإنما هم فجار كفرة حسدة , نعوذ بالله منهم ووقى الله المسلمين شر اليهود والله سبحانه وتعالى أعلم .